مدرسة جاكسونفيل

تجربة جديدة فى التعليم

قبل أن نصف هذه التجربة يجب أن نقول إن جميع المدارس والجامعات فى العالم كله — ومنه مصر — تعانى أزمة المتعلمين المتعطلين . فان حامل شهادة الثقافة العامة أو خريج إحدى الكليات بعد أن يكون أبواه قد أنفقا عليه المبالغ الطائلة وأنكرا على نفسيهما الضروريات قبل المتع والكماليات — بعد هذا كله يخرج الى العالم فلا يجد العمل الذى يتكسب به ، ثم يعود متعطلا السنوات الطويلة وهو بمثابة الآلة الثمينة التى أنفق على صنعها مئات ، بل ألوف الجنيهات ثم تترك لكى تصدأ وتتلف .

وهذه الحال تشغل العالم المتمدن كله . وهى من المسائل التى ترصد لحلها أذكى الأذهان ، فان تعميم المدارس قد قلب نظام العمل ، أو على الأقل قد أخل بهذا النظام . ذلك أن الصناعات القديمة قبل نحو مائة سنة كانت تعتمد على اتخاذ الصبيان يخدمون ويتعلمون المهنة بالممارسة على نحو ما نرى إلى الآن فى بعض صناعاتنا الموروثة . فان للحلاق وللنجار وللحداد صبيانا يتعلمون ، فاذا بلغوا سن الشباب استقلوا واحترفوا المهنة التى تعلموا . وهذا النظام كان يعمل به قبل أن تشيع المصانع الكبيرة ، وكان يسمى بالفرنسية (Apprentissage) .

والنظام الجديد الذى أطلق عليه اسم " برنامج جاكسونفيل " فى أمريكا هو مزاوجة أو توفيق بين تعليم التلميذ وممارسة الصبى . فقد وجد سكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تعطل المتعلمين يزداد ويتفاقم ، وأن انقطاع الصلة بين المدرسة والمجتمع يضر الاثنين ، لأنه يجعل الأولى تنصرف الى درس مواد ثقافية قد لا تكون لها أهمية كبيرة فى الكفاءة الحرفية ، ويجعل المجتمع يعتمد فى صناعاته على غير المتعلمين . وجاكسونفيل هذه مدينة فى إحدى الولايات الجنوبية فكر فيها منذ سنة ١٩٣٣ رجال التعليم فى هذه الحال ورأوا كيف يخرج حملة الشهادات العالية والمتوسطة الجامعية والمدرسية يتسكعون ويطرقون أبواب العمل فلا يجدون ما ينشدون ، لأن أصحاب العمل يرفضون استخدامهم لنقص فى كفايتهم أو لياقتهم .

والمسئول عن هذا النظام الجديد أى "برنامج جاكسونفيل" هو اثنان أحدهما المستر ريكستر والآخر المستر دونى . ويتلخص هذا البرنامج الذى أخذت به عشرات من المدارس فى الولايات الجنوبية فى أن التلاميذ يحضرون للمدرسة منذ الصباح الى منتصف النهار للدراسة. أما بعد الظهر فانهم يعودون صبيانا ممارسين للأعمال التى يختارون . فإن ناظر المدرسة يطلب تلاميذه واحدا بعد آخر و يعرض على كل منهم عملا فى المدينة يليق لكفايته عند ما يتم دراسته . ثم يستقدم آباء هؤلاء التلاميذ و يتحدث اليهم فى هذه الأعمال من حيث نوعها ومكاسبها . بل هو أحيانا يزور معهم بصحبة ابنهم بعض المصانع أو المكاتب أو المتاجر . فاذا اتفق الجميع على اختيار صناعة ما عمد الناظر بمساعدة سكرتيره الى صاحب العمل وقدم اليه التلميذ الذى يعمل عنده فى النصف الثانى من النهار . والأعمال التى يختارها التلاميذ تتنوع وتختلف من تربية الدجاج أو الكلاب الى بيع البقول والفواكه . ومن صناعة الورق الى صناعة التجميل . ومن أعمال السكرتيرية فى المتاجر والمكاتب الى جمع الحروف فى المطابع .

والمدرسة ، مع أنها لا تختلف من حيث المواد الدراسية التى تدرسها عن سائر المدارس ، تقسم تلاميذها فئات ، وتلقى عليهم دروسا فى الأعمال التى يعملون فيها بعد الدراسة . وهؤلاء التلاميذ لا يعملون بالمجان. لأنهم يؤجرون على عملهم ، وفى الوقت نفسه يتعلمون هذا العمل بالممارسة والمعاناة . وقد ينقد التلميذ جنيها كل أسبوع يساعد به والديه على أداء المصروفات المدرسية أو على شراء حاجاته الأخرى . وهناك بالطبع تلاميذ كثيرون يتركون العمل الذى اختاروه لأنهم بعد الخبرة يجدون أنهم غير لائقين له . وهذا لا يعد خسارة . لأنه خير للتلميذ أن يترك العمل بعد الاختبار فى هذه السنوات الأولى بدلا من أن يتركه وهو رجل كبير . إذ لا تزال الفرص هنا متاحة له لكى يختار ما يشاء ، ويتعلم ما يشاء دون أن يشعر بجرح لكرامته ، أو يلقى فى روعه أنه غير كفء إذ هو لا يزال فى طور التعليم .

وقد أصبح لكل مدرسة تجرى على هذا النظام مكتب هو فى الحقيقة "بورصة العمل" وهناك يقعد مدير هذا المكتب ولديه أسماء أصحاب العمل وأسماء التلاميذ . ومن وقت لآخر ينظر فى إعلانات الصحف ، ثم يخاطب أصحاب العمل بالتليفون و يستدعى بعض التلاميذ. ويذهب هو والتلميذ إلى حيث يطلب العمل . وقد يرافقهم والد التلميذ أو أمه و بعد المعاينة والحديث يتم الاتفاق على أجر معتدل للتلميذ .

و يجد هذا البرنامج حماسة عظيمة فى جميع مدن الولايات المتحدة . ولا تقتصر فائدته على التفادى من تعطل المتعلمين بعد تخرجهم ، لأن له فوائد أخرى تتصل بالأخلاق . ذلك أن الشاب الذى يعمل عصر كل يوم إلى المساء لا يجد ذلك الفراغ الذى كان يقضيه فى الفساد. كما أنه يكتسب كرامة ورجولة بما يكسب من أجر يشعره بفائدته للمجتمع وحاجة هذا المجتمع إليه .

ويجب أن نقول إن الأمريكيين كانوا قبل ان يعرفوا "برنامج جا كسونفيل" لا يجيزون استخدام التلميذ أو الطالب مدة الدراسة . بل إن كثيرا من طلبة الجامعات — حتى من أبناء الميسرين والأغنياء — كانوا يحترفون عملا ما وقت فراغهم لكى يتكسبوا به ويساعدوا آباءهم على القيام بنفقاتهم .

وكثير من الطلبة والطالبات فى الجامعات الأمريكيـة لا يكلفون آباءهم شيئا من هـذه النفقات، لأنهم يكسبون من أعمالهم ما يسد حاجاتهم جميعها ،والروح الديمقراطى الذى يسود الأمريكيين يجعل الطالب يقبل أى عمل ما دام يكسب منه ، فقد يكون خادما فى قهوة أو مرمطونا فى مطعم ، وقد يؤدى أعمـال السكرتيرية فى مصنع أو يقف بائعـا فى متجر . ولكنه وهو يعمل هـذه الأعمال لا يقصد فى العادة إلى غير الحصول على المـال لكى يقوم بنفقاته المدرسية أو الجامعية . وهو إذن لا يبالى أى عمل يعمل، ولا هو يعنى باختياره لكى يتهيأ به لأن يحترفه فى المستقبل . أما "برنامج جا كسونفيل" فيربط التلميذ أو الطالب بعمل ما يمارسه وقت التحصيل لكى يحترفه فى المستقبل .

وتقول إحدى المجلات التى نقلنا عنهـا هـذه الخلاصة إن هذا النظام سوف يؤخذ به فى كثير من الولايات المتحدة ، بل المرجح أن أممـا أخرى كثيرة ستعمل به .

من أسواق الذهب لشوقى

— الفتيات نائمـات فاذا تزوجن انتبهن ، والفتيان سكارى فاذا تزوجوا صحوا .

— رأى الجماعات بعضه من بعض ، وكله من الفرد كموج البحر ، بعضه من بعض ، وكله من الريح .

— أكثر الفضائل اصطلاح ، وجوهرها كلها الصلاح .

— السوق بعد الغرض ، والتربية قبل الدرس .

— للنفس فى كل ما عملت عالم من هواها .

— اذا زاد تواضع الكبراء كان تلطفا فى الكبر .

— ليس للدنيا يبعل من خطبها بلا عمل أو صحبها بلا أمل .